أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقِرُّون بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)[1].

(الشرح)

لما ذكر المصنف ما يستحقه عموم أهل البيت، ذكر ما يستحقه خاصة أهل بيته من أزواجه، ولا ريب أن أزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، من أهل البيت؛ خلافًا للروافض، الذين يخرجونهن، أو بعضهن، من مسمى أهل البيت، وقد قال الله تعالى في سياق خطاب نساء النبي، صلى الله عليه وسلم: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} [الأحزاب: ٣٣]؛ فدل ذلك على أن أزواجه، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهن، يدخلن دخولًا أوليًا في هذا الوصف؛ وأنهن أهل بيته، صلى الله عليه وسلم، بنص الكتاب؛ فأين يذهبون؟!

قوله: (أمهات المؤمنين): هذا وصف قرآني؛ فقد قال الله تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦]، لكن هذه الأمومة أمومةٌ في الاحترام، لا في المحرمية؛ قال ابن كثير-رحمه الله-: (وَقَوْلُهُ: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} أَيْ: فِي الْحُرْمَةِ وَالِاحْتِرَامِ، وَالْإِكْرَامِ وَالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْظَامِ، وَلَكِنْ لَا تَجُوزُ الْخَلْوَةُ بِهِنَّ، وَلَا يَنْتَشِرُ التَّحْرِيمُ إِلَى بَنَاتِهِنَّ وَأَخَوَاتِهِنَّ بِالْإِجْمَاعِ)[2].

قوله: (وَيُقِرُّون بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.): تزوج النبي، صلى الله عليه وسلم، إحدى عشرة امرأة، وتوفي عن تسع منهن، وأولهن، وأفضلهن، على أحد القولين، خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، وكان قد تزوجها قبل البعثة؛ بل إنها هي التي خطبت نفسها إليه! فحين ذهب النبي، صلى الله عليه وسلم، بتجارتها إلى الشام، رأى غلامها، "ميسرة"، من كريم أخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم، ما رأى، وحدثها بما رأى؛ فرغبت فيه، فكان أن تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم،

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٣٤١١)، ومسلم: رقم (٢٤٣١).

[2] تفسير ابن كثير: (٦/ ٣٨٠).

وهو ابن خمس وعشرين، ولها أربعون سنة، فكانت، رضي الله عنها، نعم المرأة، والزوجة الصالحة، **وقد ذكر المصنف طرفًا يسيرًا من مناقبها، فمن ذلك:**

- **أنها أم أكثر أولاده:** بل جميع أولاد النبي، صلى الله عليه وسلم؛ من بنين وبنات، سوى ابنه إبراهيم، منها؛ فإن إبراهيم كان من سرِّيته، مارية القبطية، وأبناؤه: القاسم، والطيب، والطاهر، وبناته: رقية، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ولا شك أن هذا مما يرفع قدر المرأة عند زوجها؛ فلهذا تجد الناس إذا أرادوا أن يعظموا قدر المرأة عند زوجها قالوا: أم أولادك.

- **أنها أول من آمن به إطلاقًا:** وهذا جلي بيِّن في حديث بدء الوحي، الذي صدّر به البخاري صحيحه؛ فإن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما نزل من حراء ترتعد فرائصه، (فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْت خُوَيْلِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ)، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.)[1].

- **معاضدتها إياه:** فكان، صلى الله عليه وسلم، يأوي إليها، حين يلقى من قومه الأذى؛ فتسكن عنه ما يجد، وتشد أزره، وتسري عنه؛ لوفور عقلها، وحسن تبعلها.

- **منزلتها العالية عند النبي، صلى الله عليه وسلم:** في حياتها، وبعد مماتها، حتى إنه كان، صلى الله عليه وسلم، يُكرم صويحباتها، ويحتفي بهن، ويهدي إليهن؛ حفظًا لحقها، ووفاء لها؛ (فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ هَالَةَ)! قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا) [2].

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٣)، ومسلم: رقم (١٦٠).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٨٢١)، ومسلم: رقم (٢٤٣٧).

وعن عائشةَ، رضي اللهُ عنها، (قالت: لما بعثَ أهلُ مكةَ في فداءِ أسراهُم بَعَثَتْ زينبُ في فداءِ أبي العاص بمالٍ، وبعثتْ فيه بقلادَةٍ لها كانت عند خديجةَ أدخلَتْهَا بها على أبي العاصِ، قالتْ: فلمّا رآها رسولُ الله، صلّى اللهُ عليه وسلّم، رقّ لها رِقّةً شديدةً وقال: (إن رأيتُم أن تُطْلِقُوا لها أسيرَهَا، وتردُّوا عليها الذي لَها، قالوا: نعم) [١] ، فهذا يدل المنزلة العالية لها عنده، صلى الله عليه وسلم ، ولهذا لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم، عليها؛ إكرامًا لها.

عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ)٢، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ)[٣]، والقصب: اللؤلؤ المجوف، وهذه بشارة لها، رضي الله عنها، وتفاصيل فضائلها كثيرة في كتب السير والتواريخ.

قوله: (الصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ): هكذا لقبها المصنف، ولا ريب أن عائشة –رضي الله عنها–عظيمة التصديق لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، حافظة للعلم، وعاءٌ له، وقد صدّق الله مقولتها في حادثة الإفك، وأكذب الذين جاؤوا به، وأبوها الصديق حقًا، خير هذه الأمة بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما تقدم.

قوله: (الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) [٤]**:** هذا التمثيل يدل على فضل عائشة، رضي الله عنها، على سائر النساء، والثريد هو خبز باللحم، كما قال الشاعر:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ ... فَذَاكَ أَمَانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ

وقد خطبها النبي، صلى الله عليه وسلم، وعقد عليها، وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين، وفي هذا رد بليغ على الذين يحظرون نكاح الصغيرات؛ استجابة للأنظمة الدولية! فقد تحيض المرأة وتكتمل أنوثتها لتسع سنين؛ فإن النساء يتفاوتن في البنية وكمال الخلقة، والمنظمات الدولية تلزم، أو تلجئ، الدول إلى سن القوانين المنافية للشريعة، في حين تغض الطرف عن العلاقات المحرمة بين الجنسين! فمدار الأمر على القدرة، والأهلية للزواج من عدمها.

---

(١) أخرجه أبو داود: رقم (٢٦٩٢)، وأحمد: رقم (٢٦٣٦٢).

٢ أخرجه البخاري: رقم (٣٤٣٢)، ومسلم: رقم (٢٤٣٠).

٣ أخرجه البخاري: رقم (٣٨٢٠)، ومسلم: رقم (٢٤٣٢).

٤) أخرجه البخاري: رقم (٣٤٣٣) ومسلم: رقم (٢٤٣١).

وقد كانت عائشة، رضي الله، عنها حِبّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في حياته؛ يشتاق إلى يومها، ويأنس بها، ويمازحها، ويسابقها؛ جعلها الله مستراحًا لفؤاده، وكانت فتاة ذكية نابهة، تحفظ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما يصدر عنه من قول، أو فعل؛ فلذلك كثرت روايتها؛ مقارنة ببقية أمهات المؤمنين، فحفظ الله تعالى سنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، البيتيّة، التي لا يطلع عليها آحاد الناس، بأمهات المؤمنين؛ وخصوصًا عائشة، رضي الله عنها، وظلت تحظى بهذه المنزلة لدى رسول الله ﷺ حتى مرّضته، وتوفي ورأسه في حجرها، بين حاقنتها وذاقنتها؛ (تَقُولُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: إِنّ مِنْ نِعَمِ اللّهِ عَلَيّ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تُوُفّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنّ اللّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ:: دَخَلَ عَلَيّ عَبْدُ الرّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنّهُ يُحِبّ السّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: (أَنْ نَعَمْ) فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: (أَنْ نَعَمْ) فَلَيّنْتُهُ، فَأَمَرّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ -يَشُكّ عُمَرُ-فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ، إِنّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ) ثُمّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: (فِي الرّفِيقِ الْأَعْلَى) حَتّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)[1]. وفي رواية (مَاتَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِنّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي)[2] ، فكانت عائشة آخر العهد به، رضي الله عنها، ومناقبها كثيرة في كتب التاريخ، والسيرة.

وكذلك يجب تولّي بقية أمهات المؤمنين، ومحبتهن واحترامهن، وهنّ:

- سودة بنت زمعة العامرية القرشية، رضي الله عنها؛ تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد خديجة، وهو بمكة. توفيت سنة خمس وخمسين.
- حفصة بنت عمر بن الخطاب، رضي الله عنها؛ تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، سنة ثلاث. توفيت سنة خمس وأربعين.
- زينب بنت جحش الأسدية القرشية، رضي الله عنها، توفيت سنة عشرين.
- هند بنت أمية المخزومية، أم سلمة، رضي الله عنها، تزوجها النبي صلى، الله عليه وسلم، سنة أربع، وعاشت بعده ستين سنة. توفيت سنة اثنتين وستين.
- رملة بنت أبي سفيان الأموية، أم حبيبة، رضي الله عنها. توفيت سنة اثنتين، أو أربع وأربعين.
- صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية، رضي الله عنها، تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد خيبر. توفيت في خلافة معاوية، رضي الله عنه.

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٤٤٤٩).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٤٤٤٦).

- ميمونة بنت الحارث الهلالية، رضي الله عنها، تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، بسرف، سنة سبع. توفيت سنة إحدى وخمسين.
- جويرية بنت الحارث الخزاعية، رضي الله عنها، تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد غزوة المريسيع. توفيت سنة خمسين.
- زينب بنت خزيمة الهلالية، رضي الله عنها، تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، في السنة الثالثة للهجرة، ولم تلبث معه إلا يسيرًا، ثم توفيت سنة أربع.